الحرب، من الناحية الاخرى. الاعتراض الآخر صدر عن اليهود الذين اندمجوا في مجتمعهم البريطاني منذ أجيال عدة، وبرّروا معارضتهم بالقول ان مشروع اقامة دولة يهودية في فلسطين لن يحقق حلاً سليماً وصائباً للمشكلة اليهودية، بل، على العكس من ذلك، سوف يثير مشاعر العداء لليهود من جديد في بقاع مختلفة من العالم.

على ان المعارضة القوية التي واجهتها الصهيونية في مجلس الوزراء، من جهة، ومن زعماء الطوائف اليهودية البريطانية، من جهة أخرى، نبّهت وايزمان ورفاقه الى وجود حاجة ملحّة الى القيام بحملة دعائية واسعة النطاق للوصول الى عقول، وقلوب، الجماهير الواسعة، وكسب عطفها وتأييدها، فأوعزوا الى المحرر المعروف في صحيفة «الغارديان»، هربرت سايد بوتهام، الذي كان انضمّ الى معسكر الموالين للصهيونية، منذ مدة، تحت تأثير رئيسه سكوت، لتأليف جمعية باسم «الجمعية البريطانية ـ الفلسطينية»، مهمتها الدعاية للحركة الصهيونية من طريق النشرات والمحاضرات والمقالات والحفلات، الى غير ذلك من الوسائل. في عدد «الغارديان» الصادر في السادس من آب (اغسطس) ١٩١٥، نشر بوتهام مقالة افتتاحية طويلة عن العبرانيين القدامى ومملكتهم قصيرة العمر في جزء من فلسطين؛ ثمّ انتقل الى زمن الشتات ومعاناة يهود العالم، جرّاء ما كانوا يتعرّضون له من مظالم واضطهاد، الى آخر ما هنالك من قصص تثير عطف القراء، ومن ثمّ تأييدهم للصهيونية «التي تعمل في سبيل انقاذهم واعادتهم الى أرض اجدادهم الاولين». ولم ينس هذا المحرر المتصهْين ان ينقل عن لسان كيتشنر رأياً مطابقاً لهدف الصهيونية، فزعم انه قال، في تصريح أدلى به الى مراسل صحفي، «ان فلسطين يجب ان تكون الحصن والقلعة والمتراس الذي يدافع عن سلامة قناة السويس البريطانية ضد اطماع الطامعين». بهذا أوحى المحرر لقرائه بأن مصلحة بريطانيا الاستراتيجية تقضي بقيام دولة يهودية صديقة لبريطانيا في فلسطين، يمكن الوثوق بصداقتها، والاعتماد على قدراتها.

ورافقت الحملة الاعلامية واسعة النطاق، خلال السنتين ١٩١٥ و١٩١٦، جهود صهيونية حثيثة لحشد الانصار داخل مجلس الوزراء البريطاني، من اجل الحصول على التزام بريطاني رسمي بالقضية الصهيونية.

وبعد النجاح العلمي الذي احرزه وايزمان باستنباط طريقة جديدة لمضاعفة انتاج مادة «الاسيتون» اللازمة لصناعة القنابل والمواد المتفجّرة، قرّرت الحكومة البريطانية اسناد منصب له في وزارة البحرية، للاستفادة من كفاءته العلمية. ذكر وايزمان في كتابه «التجربة والخطأ»، وهو يسرد احداث تلك الفترة، ان صديقه الشخصي ورئيسه في الوظيفة، بلفور، قال له، في احد الايام: «هل تعلم... بعد هذه الحرب قد تحصل على قدسك».

في آذار (مارس) ١٩١٥، بعث وزير خارجية بريطانيا، ادوارد غراي، بمذكرة سرية الى حكومات فرنسا وروسيا والولايات المتحدة الاميركية، تطرّق فيها الى «العلاقات التاريخية التي تربط اليهود بفلسطين»، ثمّ اقترح الاتفاق على برنامج، أو مشروع، يستهدف كسب ولاء يهود العالم لقضية الحلفاء. وأشار، في النهاية، الى ان حكومته ترى ان من الممكن، بعد الحرب، تسليم ادارة فلسطين لليهود، اذا تمكّنوا من رفع عدد المهاجرين اليهود الى مستوى عدد السكان العرب.

في تلك الآونة، عيّن مارك سايكس، ذو العلاقات الوطيدة بالصهيونية منذ عدة سنوات، في منصب مساعد وزير في وزارة الحرب البريطانية، مسؤولاً عن شؤون الشرق الادنى.